

## التوحيد في تطوره التاريخي ..

### التوحيد يمان

٦

احتفلت الأوساط السياسية في اليمن الجنوبية بصدور هذا الكتاب<sup>(١)</sup> أيما احتفال وتصدرت الكاتبة ثريا منقوش شاشة التلفزيون ومكرفون الإذاعة وقاعات المحاضرات الجامعية وتوجت ذلك كله بمنصب في إدارة جامعة عدن ، بالإضافة إلى انتدابها للتدريس بكلية التربية ..

قيل : لأنها زوجة رئيس اتحاد الكتاب ، وقيل : لمكانتها في الاتحاد النسائي وقيل لأنها قدرت على تسجيل ولائها للفكر الماركسي ، بمناهضتها الفكر الديني ، الذي لا يزال يتحرك بقوة في خلايا المجتمع .

والكتاب لا يتجاوز مجاء في كتاب ( حول الدين ) لكارل ماركس وفريدريك أنجلز<sup>(٢)</sup> في إطار من الأساطير التي حفلت بها كتب التاريخ العربي وكتب التفسير . وللأسف ماتناوله هذه الكتب من أخبار الحياة الإنسانية الأولى وما صحب هذا التاريخ من مبالغات أسطورية حول الشخصيات والأحداث الواردة في القرآن الكريم أصبح مادة سهلة التناول ، بين أيدٍ مدربة على التزييف والتشويه ، بحيث تأخذ ( البريء بالسقيم ، والصالح بالطالح ، والطيب بالخيث ) .. وهذا لا يرجع إلى غفلة حملة الأقلام قديماً ، بقدر ما يرجع إلى غفلة المعاصرين الذين يفتنون يرددون هذا الآفات الفكرية وكأنها مقدسات .

(١) دار الطليعة - بيروت سنة ١٩٧٧ م .

(٢) ترجمة زهير حكيم - دار الطليعة سنة ١٩٧٤ م .

ولهذا تقول الكاتبة : ( ليس لنا من هدف في هذه الدراسة سوى أن نوقظ عند القارئ عقلانيته ليكون هو الحكم في قضية من أهم قضايا الفكر الديني ) ص ٩٥ .

وهو هدف يردده كل كتاب ( اليسار الإلحادى ) وبين أيديهم من كتابات القدامى والمحدثين مائلاً الأبراق باللُّهات ، لكنهم من غفلة أيضاً لا يقعون في مبالغات الافتراء على الدين أو في إنكار الحقيقة الدينية فحسب ، بل يقعون في عدم التمييز بين الحقيقة والخيال وبين الواقع والوهم وهو مانكب به ( دراويش الفكر الديني ) .

### التوحيد والموحدون الأول :

تقول : ( لقد استفاد الإسلام من المعلومات التاريخية عن الحضارة اليمنية ، بعد سقوطها ونهبها الكلى ، الذى دفن معه أحقية الإنسان اليمنى في الدعوى التوحيدية كما أوردتها النقوش ، والذى تبطن من نتيجة فقدان الذاكرة عند اليمنيين في فترة الحطاط حضارتهم وتحطمها - ببطانة دينية مثالية ، أخرجت الوقائع التاريخية كما ظهرت في الكتب المقدسة وفي مقدمتها القرآن ) ص ٤٣ .

فما جاء في القرآن ، ومن قبله التوراة ، إنما هو فكر إنساني ، استعان بأخبار دينية قديمة أكسبها تطاول الزمن ( ببطانة دينية مثالية ) وذلك لأهداف سياسية . ( لاشك وأن تبنى القرآن لأخبار الأنبياء وتسلط الضوء على أخبار أقوام الجزيرة - وجنوبها على وجه الخصوص - قد جاء ليضع السوط الرباني على رقاب أتباع الدعوة الجديدة حين كان يعجز عن إقناعهم بالترغيب ، وحين كان ينتصب أمام الدعوى خصوم عدليدون يقارعون الحججة بالحجة مدركين الأهداف البعيدة للدعوة واستراتيجية الدعوة على المدى القريب والبعيد بحكم ممارستهم للسلطة في مجتمعهم القرشي .

واسمات الدعوى - من أجل تثبيت مبادئها وقيمها الجديدة - تطويعاً لنفسية مجتمع الجزيرة العربية لتقبل السلطة القادمة من صفوف الطبقات الدنيا في المجتمع القرشي ، بعد أن بقيت لفترات متعاقبة في يد طبقة التجار والأغنياء من قريش . واستخدمت بذلكاء المشاعر الدينية الهلامية الملامح وتم تركيزها في الدعوى الجديدة ، بعد أن شذبت بالترغيب والترهيب ) ص ٣١ .

تكررت عبارة ( وضع السوط الرباني على رقاب أتباع الدعوة الجديدة ) بصور مختلفة ، مع أنهم وقد أصبحوا ( أتباع الدعوة الجديدة ) ليسوا في حاجة إلى أخبار (تفرع) وتشكل (مظهرًا من مظاهر الإرهاب الروحي) ص ٣٢ .  
لكن الكتابة تفكر بوجودان الحياة الحزبية الماركسية ، ولهذا تحولت الدعوة الإسلامية إلى ثورة ( طبقية ) داخل ( المجتمع القرشي ) ، وتحول الأنبياء إلى أجداد ، خلج عليهم الزمان طابع التقديس .

( يقول أنجلز : « إن الأنساب الواردة في سفر التكوين ، والتي تظهر في صورة تسلسل نوح وإبراهيم .. الخ هي تعداد صحيح تقريباً لقبائل البدو في ذلك العصر طبقاً لقرايتهم اللسانية الكبيرة والصغيرة الخ ) .

( إن التعداد الوارد في سفر التكوين يؤيده - في كثير أو قليل - الجغرافيون القدماء ، كما أن الرحالة المحدثين قد برهنوا أن معظم الأسماء القديمة مازالت موجودة في بعض التفريعات اللسانية ) .

( وترى الماركسية أن حقيقة تلك التسميات - بني إبراهيم ، بني هود .. الخ . إنما يعود إلى فترة موغلة في القدم عرفت بالعهد البطريركي ، وهو العهد الذي استحوذ فيه الرجال على أدوات الإنتاج ، وأقرت سلطتهم بعد أن لحقت الهزيمة التاريخية العالمية بالجنس النسائي ، وفي ذلك العهد خضعت العائلة للسلطة الأبوية ، وخضعت العشيرة بعد ذلك لرجل كبير منها ، وأصبحت الثورة الجمجمة من فائض إنتاج العشيرة ملكاً له ، واكسبت القضية الساللية صفة القدسية ،

وأصبح من الطبيعي أن يقدر الجدد الذي تنسب إليه القبيلة) .  
( واستمر التطور على هذا المنوال ، وخف التقديس للعادة القديمة ، ووصلنا  
إلى ما قبل الميلاد بمئات من السنين ، فإذا بالعبادة للجد الأكبر تصبح مجرد  
تقديس ، ويصبح معبود الأمتس نبياً ، يمثل في الوقت نفسه النبوة والسلالة )  
ص ٤١ / ٤٣ .

وهذا واضح في قصة إبراهيم الذي فرض نفسه على الذاكرة التاريخية  
( فحفظت اسمه في التوراة ، كما حفظته بقية القبائل العربية في ذاكرتها ، ونسى  
هود وصالح ولقمان ، حتى جاء القرآن ليذكر ) ص ٤٣ .  
فن أين للقرآن أخبار هود وصالح ولقمان ، ولم تحفظها الذاكرة التاريخية ، ولم  
تحدث عنها النقوش القديمة ؟

تقول : ( لقد لعبت الحكاية الأسطورية في السرد القرآني دوراً كبيراً في التأثير  
على أتباع الرسالة ، ذلك أنها تشكلت إثر تغيرات وتطورات مادية ملموسة  
موضوعية حدثت في جنوب الجزيرة عقب تحول طرق التجارة وانتشار الفتن  
والفلاقل بين القبائل ، والتدخلات السياسية والعسكرية من قبل الحبشة في الشتون  
الداخلية وغيرها من الأوضاع والظروف الموضوعية التي أعقبتها انهيارات تامة في  
اقتصاديات جنوب الجزيرة تبعها تحطم شامل لتمدن العريق وحضارتها العظيمة آن  
ذاك ) ص ٣٣ .

فكان هذه ( التطورات المادية ) نبت ( الذاكرة التاريخية ) فاستعادت مانسيت  
لكن ( الذهنية الإقطاعية الغبية ) فسرت هذه الأحداث ( وكأنها كوارث طبيعية  
حلت بأقوام جنوب الجزيرة ، ذلك أنها كانت صعبة التفسير والفهم على العقلية  
العربية الساذجة والبسيطة فأخرجت بقالب أسطورة ) ص ٣٢ .  
وأراد الرسول ( على لسان الأنبياء أن يثبت في أذهان أتباعه الويلات التي حلت  
بحضارة جنوب الجزيرة لأهداف سياسية محددة ) ص ٢٦ .

وتسأل عن هذه ( الأهداف ) والحركة ( داخلية ) لاتبجاوز ثورة ( البروليتاريا ) القرشية على الرأسمالية المتسلطة .

كما تسأل عن السرفى الوقوف عند ( هود وصالح ) اللذين قد يصح نسبهما إلى جنوب الجزيرة ، من بين خمسة وعشرين نبياً ورسولاً جاء ذكرهم فى القرآن . كما أن القرآن لم يعن بتفصيل أحداث هذين الرسولين اليمنيين كما عنى بقصة آدم ونوح وإبراهيم ويوسف وموسى وعيسى .

ثم إن الأحداث اليمنية التى حركت ذاكرة التاريخ كانت فى اليمن الشمالى بعد تخريب سد مأرب .

فما الذى أصاب ذاكرة اليمن فى الجنوب ؟

يجب أولاً أن نعرف أن المؤرخين اليمنيين ، قديماً وحديثاً ، حريصون على أن يتفنوا بالتاريخ اليمنى عن طريق الهجرات ، أو عن طريق الحروب ، إلى أنحاء مختلفة من العالم على مستوى آسيا وأفريقيا وأوروبا ، وعلى هذا يمكن أن يكون الدم اليمنى قد تسلل إلى جميع هؤلاء الأنبياء .

لكن الكتابة لانقر هذا الاتجاه الذى يرتكز فى جملته على الاعتراف بما جاء فى التوراة والقرآن من أخبار الأنبياء .

الأنبياء من وجهة نظر العلم المثالى ..

( لقد بالغ « فيلى » فى تقديراته بالنسبة لقدم الحضارة اليمنية ، فأوغل فى التاريخ وذهب فى المدى آلاف السنين ، ليطوع الأحداث الزمنية لآرائه متجاوزاً فى ذلك - فى بعض الأحيان - حدود الأعراف والتقاليد العلمية والتاريخية ) .

( كما وأن هذا الرأى لفيللى يعطى الحضارة اليمنية الأسبقية التاريخية والزمنية على حضارات بابل وكنعان إلخ ، وهذه نظرية دحضت الآن ، على ضوء ما اكتشف من نقوش تحمل التقوم الحميرى الذى يرجعها إلى عدة مئات من السنين قبل

الميلاد ، كما وأن النقوش والآثار البابلية المكتشفة تؤكد أقلية الحضارة في بابل على كثير من حضارات الجزيرة) ص ٤٦ / ٤٧ .

وجاء الدكتور أحمد سومة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) ليثبت (أصل ونسب شخصية إبراهيم الدينية ، لتصبح شخصية تاريخية حقيقية) ص ٤٨ .

(لقد قام الدكتور سومة بعملية الربط بين الإله « سين » المكتشف فعلا في الآثار والنقوش اليمنية ، ويقع معبده في الحريضة بحضر موت ، وبين شخصية إبراهيم وفكرته التوحيدية التي ورد ذكرها أول ماورد في التوراة) ص ٤٨ .

(إن التوحيد الذي عثر عليه في النصوص والآثار التاريخية لايشير مطلقاً إلى التوحيد بالإله الديني ، والذي جاء الإيمان به في مرحلة متأخرة من الحضارة الإنسانية لاتتجاوز القرون الأولى ، قبل الميلاد مباشرة .. وماعرف من توحيد في النصوص القديمة المعثور عليها لم يكن سوى توحيد للآلهة الكثر في إله واحد ، تمثل في الشمس بالنسبة للمصريين « الفكرة الأختاتونية ، وفي القمر بالنسبة لأقوام جنوب الجزيرة واختلف اسمه من منطقة إلى أخرى) ص ٤٩ .

(وما تجدر الإشارة إليه أن فكرة التوحيد اليمنية قد جاءت بعد فكرة التوحيد الأختاتونية ، وفق آراء العلماء المعاصرين الذين يعيدون تاريخ نشوء الحضارة اليمنية إلى ما قبل الميلاد بعدة قرون من الزمن) ص ٥٠ .

(وذلك يعنى أن فكرة التوحيد اليمنية المتجسدة في الإله « سين » أو « المقه » قد ظهرت في الجزيرة بعد قيام الحضارة في ربوعها ، فكيف ظهر الإله سين قبل ذلك في العراق) ص ٥٠ .

و (كيف حدث أن أصبح إبراهيم وهو ابن صانع الأصنام الفقير واحداً من الملوك الثلاثة الذين دعوا إلى التوحيد ، وسكنوا في المنطقة الجنوبية من بابل ، بناء على المعلومات التي يوردها فيلبي ، في نص ورد له في كتاب « مقومات الإسلام »

والتي تبناها الدكتور سوسة ، وأوردتها كمعلومات يقينية يستدل بها على أن هجرة إبراهيم وشخصيته حقيقة واقعية) ٢ ص ٥١ .

( لقد وقع الدكتور سوسة في كثير من التضارب في المعلومات التاريخية وهو يقوم بمحاولة تثبيت شخصية إبراهيم الأسطورية ، من خلال التداخل التعسفي بين معطيات العلم الحديث والآراء القبيية المسيطرة على فكره مسبقاً ) ص ٥٢ .

\* هـ هذا الإنكار لشخصية إبراهيم لا يتفق مع ما جاء على لسان أنجلز والماركسيين من أن نوحاً وإبراهيم وغيرهما من الشخصيات الواردة في التوراة حقيقة يؤيدها ( في كثير أوقليل الجغرافيون القدامى والرحالة المحدثون ) ، لكن كأجداد لا كآباء .

ثم إن الآية الكريمة : ( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ) ( آل عمران - ٦٧ ) لاتعني ( دحض آراء اليهود والتضاربي وإرجاع نسبه إلى الجزيرة العربية ) ص ٥٣ . وإنما تفيد أن مادعا إليه إبراهيم إنما هو العبادة الخالصة لله ، بعيداً مما دخل على اليهود من أن ( عزيراً ) ابن الله ، وما دخل على المسيحية من أن المسيح ابن الله ، فهو دين حنيف ( خالص ) لله ، منزه عن الشرك ، يسلم الأمر لله ، سبحانه ، وهذا ما تؤيده الآية التالية ( إن أولي الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي والذين آمنوا ، والله ولي المؤمنين ) ( آل عمران - الآية ٦٨ ) . فالانتساب إلى إبراهيم يقوم على الالتزام بتعاليمه ، لا على كونه أباً أو جداً .

وتدعي الكاتبة أن ( تلك الشخصيات الأسطورية ، كنوح وإبراهيم وميلان وغيرهم ) اتخذتهم التوراة ( محور الحوادث التاريخية لأقوام الجزيرة رغبة منها في ربط جميع حوادث التاريخ بيني إسرائيل والذين يتنسبون إليهم باعتبارهم جذور الجنس البشري في شمال الجزيرة ) .

( وقد جاء تسجيل حوادث التوراة خدمة لمحاولة « قورش » التي كانت تهدف

إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين لحماية الحدود الغربية للإمبراطورية الفارسية من الهجمات البيزنطية من جهة الغرب) ص ٥٤ .  
(وجاء المدافعون عن عروبة إبراهيم منطلقين من نفس المنطلق ، متأثرين بآراء التوراة ، مخضعين معطيات العلم ، من تنقيبات وحوادث تاريخية مسجلة ، للفكرة المقدسة التي نشئوا وترعرعوا عليها) ص ٥٥ .

(يتحدث القاضي الشماخي - في كتابه « اليمن والإنسان والحضارة » عن قوم عاد الأول بأنهم كانوا على جانب مهيب من القوة العسكرية والجسمية والحضارية والاقتصادية وبأن أرضهم كانت على جانب كبير من الخصب والاعتدال ، وأن بلادهم كانت ذات جنات وأنهار ونعم وعيون وقد استخلفهم الله على ذلك بعد حوادث الطوفان « النوحية » ، وأنه أرسل لهم هوداً ، إلا أنهم أصروا على كفرهم ، وحدث ماحدث لهم ، وعلى إثره تحول هود ومن معه من الأحقاف إلى حضرموت ، ومات هناك ، وأنه قبر فيها ، وأثره اليوم القبر المعروف « بقبر النبي هود » وهو مازال مزاراً حتى يومنا هذا) ص ٥٥ / ٥٦ .

(إن تلك المعلومات التي حصل عليها الكاتب على أثر تنقيبات أركيولوجية حدثت في المنطقة ، وجاءت أخبارها لتنبئنا بالعثور على أسلحة صوانية ، وقطع متحجرة من بيض النعام ، وعلى حد معلوماته ، فإنها تعود إلى ما قبل خمسة آلاف عام قبل الميلاد ، تلك المعلومات العلمية ، يحاول الكاتب إخضاعها للمعتقدات الغيبية المسبقة في ذهنه ، ليعمدها بتنقيبات العلم ، بعد عملية المخرج التعسقي بين العلم والقيم والأفكار المثالية) ص ٥٦ .

(وزيد بن عنان - في كتابه الجديد « تاريخ اليمن القديم » - قد اعتمد على معلومات أوردها كاهن كلداني ، يدعى « بروسوس » وهو كاهن عاش في القرن الرابع قبل الميلاد ، وتحدث عن أخبار موغلة في القدم تعود - لو أننا قننا بجمع

وطرح تلك الستين - إلى ما قبل العشرة الآلاف سنة قبل الميلاد ، قبل حياة ذلك الكاهن .

( ويعتبر كلام الكاهن كمثلات بدئية ، ويصبح مصدرًا مهمًا في تناول الأحداث التاريخية على الرغم من ضياع الكتاب ، ونقل المعلومات عن الناس بعد ثلاثة قرون من حياة ذلك الكاهن ) ص ٥٩ .

.. وهذا تنكر الكاتبة صدق الأخبار الواردة في التوراة والقرآن وإن استعان المؤرخون بالتقويم والتقييات الأركيولوجية ، وعطيات العلم الحديث ، وإن رجعوا إلى مؤرخين سابقين على ( الميلاد ) .. أما أفكارها هي فهي مثلات مادامت قد وردت على لسان أنجلز وماركس ومن هنا نحوها من الاشتراكيين الماديين .

الدين في اليمن ..

ومع هذا ، فهي تعتمد في فصل كامل تحت هذا العنوان على مؤرخين إسلاميين كالمقداني صاحب ( الإكليل ) ، والفخر الرازي صاحب ( تاريخ مدينة صنعاء ) وجواد على صاحب ( المفصل ) .

ولم تحاول أن تسأل نفسها : لماذا تأخذ أخبار هؤلاء المؤرخين عن الدين اليمني ، وتنكر أخبارهم عن أنبياء الله ، مع أن أخبار هؤلاء الأنبياء وردت في مصادر أكثر توثيقًا .

ثم إذا كانت تعترف بوجود إله أو آلهة ، فلم لانصدق أن هناك رسلاً لهذا الإله أو هذه الآلهة ؟

إننا لانستطيع أن ننكر ما لانعرف ، وإلا فهذا هو الغباء بعينه ، ولكننا نستطيع أن ننكر ما تقوم الأدلة القاطعة على عدم وجوده أو على استحالة وجوده .  
إنها تعترف بعبادة الإله « وود » ، و « أيل » ، و « العري » ، و « الزهرة » ، و « سين » ، و « المقه » ، و « شمس » ، و « يهوه » وقد وردت نصوص عن

«الرحمن» و«الرحيم»، ووردت عبارة «هلاه» بمعنى «اللهم»  
ص ٧٩ / ٨٠ .

وتذكر (أن تسمية سيناء إنما هي مأخوذة من الإله اليمني الحضرمي «سين»  
الذي حمله أصحابه مع غيره من الآلهة إلى شمال الجزيرة ويعتقد «فيلي» أن الإله  
«سين» الذي ورد اسمه في النقوش البابلية إنما هو «سين» إله قبائل حضرموت  
حملة الحضارة إلى العراق في رحلاتهم التجارية وحسب ترجيحاته ، فإن فكرة  
التوحيد الإبراهيمية قد جاءت متأثرة به ) .

وأن «وداء» (الإله الرئيسي لثود ، وحامي حماها انتشرت عبادته في أجزاء  
كثيرة داخل الجزيرة العربية ، وتعبدت له قريش والخزرج وتميم إلخ ) ص ٧٩ .  
وأن الإله «أيل» ( قد عبد عند الثوديين ، فسموا باسمه تيمناً ) ص ٨٠ وهذا  
الإله إله بني إسرائيل ، وكلمة إسرائيل ذاتها تعيد معنى (نجى الله ، أو (صنى الله) .  
وأن «يهو» ( قد عبد عند جميع الأقسام العربية الغربية ، ويرى فرويد أنه إله  
مدياني حمله موسى المدياني <sup>(١)</sup> إلى شعبه الجديد ) ص ٨١ .

وأن «سين» يعنى السماء ، كما يعنى القمر ، وقد اشترك الثوديون مع  
غيرهم من أقوام جنوب الجزيرة في عبادة الإله «عشرسين» أو «عشر السماء» مع  
تحويل بسيط في التسمية حيث كتبت في النصوص النمودية «عشر سم» ص ٨٠ .  
والإله «المقه» ( يلفت أنظار العلماء الأوربيين على الأقل ، لأنه يتمتع بمكانة  
عليا في عبادات الجنوب ، واحتل مكان الصدارة في عبادات شعوب المنطقة ،  
وأصبح الإله القومى لتلك الشعوب باختيار طوعى ، أو بإكراه حين تراجعت أمامه  
الآلهة وتقدم هو أمامها عقائدياً وتاريخياً ) ص ٨٧ .

---

(١) لعله يشير إلى ما جاء في القرآن عن رحلة موسى إلى مدين ، خوفاً من فرعون ، وتلمذ على بي الله  
شعب عشرة أعوام .

وقد ( بنى البيت المقدس ، أى كعبة « مكة » على غرار كعبة « المقه » المشيدة من قبل فى مناطق كثيرة من اليمن ) ص ٨٦ .  
فإذا كانت هذه الشركة فى الآلهة على مستوى الجزيرة العربية وشرق أفريقيا وكان ( سين ) بمعنى السماء ، والمقه بمعنى اللامع أو الثاقب أو القوى ، ص ٨٨ والورد فى الدلالة العربية العامة بمعنى الحب ، فلم لا تكون كل هذه الأسماء صفات لموجود واحد هو الإله ؟ .

تقول الكاتبة عن « المقه » ( إن ورود اسمه بمعان عدة تتلام من غير شك ومكانته عند اليمنيين وغيرهم من الأقوام التى ارتبطت بهم ، سواء أكان فى الجزيرة أو على الساحل الآخر للبحر الأحمر ، وكنيجة لانتشاره ، ومن وحى الواقع الطبيعى والاجتماعى ، فقد تعددت رموزه وصوره ، فرمز إليه بنسر ، ورمز إليه بصورة حية ، ورمز إليه فى اليمن برأس نور ، وحملت لنا الآثار رسوما كثيرة علفت أو نحتت على أبواب المنازل ، وفوق أعمدة المعابد ، ودخل بيوت العبادة وعند مدخل المدن ، بل وألبست على أعناق النساء ، والأطفال ، لعلها ترعاهم حيث كانوا وأينما ولوا ) ص ٨٨ / ٨٩ .

وعلى ضوء هذا التفسير يمكن القول إنه الإله الواحد الذى دعا إليه الرسل والأنبياء لكن الناس - على وفق ظروفهم النفسية والحياتية - رمزوا له برموز تقربه منهم ، أو سموه بأسماء محبة إليهم ، وبخاصة أنه كان ( ثمة علاقة حميمة قد تولدت بين الملوك والآلهة حتى أصبحوا مرتبطين ارتباطاً كلياً ، فلا يقدمون على عمل إلا بعد أن يستشيروها ، ويقدموا لها القرابين ولا يستزعون نصراً من خصم عنيد إلا وبادروا فى تقديم مايلزم تقديمه إليها ) ص ٧٢ .

( ولقد انتشرت فى مدن قنبان المعابد الضخمة التى تشهد على أن جزءاً كبيراً من إمكانيات الدولة قد حشد بصورة رئيسية لبناء تلك المعابد وتأييدها بأثمن الأثاث

وأغلاه ، وأجمل التحف وأتمها وفرشت أرضها بأجود أنواع المرمر ، وزينت جدرانها بأنواع من الصدف ) ص ٧٧ .

( وكان الإله « المقه » مصدر إلهام ووحى لجبايرة سبأ .. ولقد تمكن ملك سبأ من انتزاع النصر العسكري مجهود الإله « المقه » الذي حرمس ووقى كل السبئيين والقبائل المشتركة معهم ) ص ٨٣

( وشهدت مأرب وشهد معها الإله « المقه » عظمة سبأ وتمدنها فارتفعت راية السدود تبشر بالاستقرار وتفرض التمدن والحضارة على الأرض اليمنية بعد أن توزعت من مأرب فوق الأرض اليمنية حتى وادى حضرموت ، وانتشرت شبكات الري لتفرض وحدة الأرض اليمنية ، واستطاع بذلك أن ينتزع لقب الإله القومي ، كما مكنته من أن يصلح وبحول فوق الجزيرة العربية إضافة إلى الحبشة فخلد اسمه في المدينة المقدسة مكة ، وهي أصلاً وكما يبدو محوره من لفظه « مقه » ) ص ٨٤/٨٥ .

( وقد استعين بالآلهة مراراً من أجل نزول الأمطار ، حين كانت المنطقة تصاب بجفاف فتقدم الهدايا ويخرج بالأضاحي إلى العراء وتردد أدعية وأناشيد مازالت حتى اليوم في قرى اليمن ) ص ٧٨ / ٧٩ .

.. هذه الصلة الوثيقة بين الناس والإله هل كانت تتم مباشرة أو عن طريق

وسيط ؟

لقد حملت لنا النصوص القنانية أسماء نساء دخلن في سنك الكهنة ، وقدمن أنفسهن كمنذورات للمعابد ) ص ٧٨ .

وهؤلاء الكهنة - من رجال ونساء - إنما يكهنون بتعاليم متوارثة ، سواء احتفظت بأصالتها ، أو تطورت بفعل المؤثرات المختلفة لكنها تحمل دون شك دلالة على ( ظاهرة ) النبوة أو الوساطة بين الخالق والمخلوق .

وفي أي صورة من الصور كان هذا الوسيط ، فإن ماجاء بالكعب المقدسة يؤكد

هذه الحقيقة ، وبرزها في أكمل كيان ، ومن ثم لم يكن داع ابتداءً إلى إنكارها  
والسخر ممن يتحدثون عنها .

### التوحيد عند اليمنيين .

( أردت أن أخضع هذه القضية لنقاش فكري معتمدة على الوقائع التاريخية كما  
أوردتها النقوش والتقنيات الأركيولوجية ، والتي ترى أن التوحيد الذي عرف في  
تلك الفترة إنما هو توحيد بإله مرئي ، تمثل بكوكب من الكواكب الثلاثة الكبيرة  
الشمس والقمر والزهرة ، وتجدد في صورة نور أو وعل أو حية أو يوم .. إلخ ، ثم  
تحول ذلك التوحيد المرئي والذي استنبط من أجل تأدية أهداف محددة للسلطة  
والمجتمع إلى توحيد بالإله الغيبي بعد مرحلة حضارية في شمال الجزيرة أقل مجهما ،  
إثر الغزو والاحتلال الفارسي البيزنطي للمنطقة وصراعها في الشمال من الجزيرة ثم  
في جنوبها ، وحل الإله الغيبي محل الإله المرئي المتجسد ، واستغل التفكير الناتج عن  
التأثيرات الحضارية لإعادة بناء صرح حضارة قد تهدم ) ص ٩٠ / ٩١ .

تريد أن تقول : إن الإله ( استنبط من أجل تأدية أهداف محددة للسلطة  
والمجتمع ) ، فلا حقيقة لوجوده وإنما اخترعه الملوك من أجل تحقيق أهداف محددة  
للتأثير على الجماهير في تسيير الجيوش ، ولتسخيرهم في خدمة الأرض التي هي ملك  
السلطة الحاكمة ولاضير أن تقام المعابد ، ويوظف الكهنة ، ويستعان بهذه الآلهة  
( المخترعة ) على النصر وعلى إنزال المطر ، وعلى إخصاب الأرض !!

ومادامت الآلهة تابعة للسلطة فإن آلهة المهزومين تصبح تابعة لإله المنتصرين  
أوينتهي دورها بسيادة إله الدولة المنتصرة ، كما انتهى دور الدول المهزومة .

( لقد ابتدأ التوحيد بإله مرئي كبير ، في فترة كانت تنجح فيها الدولة إلى التوحيد

لقبائلها وأراضيها الممزقة لتبنى فيها دولة متماسكة الأطراف موحدة الرقعة الجغرافية  
الواحدة) ص ٩١ .

لكن : كيف يتحول الإله المرنى إلى عيسى ( بعد مرحلة حضارية في شمال  
الجزيرة أقل نجمها ) ؟

أىكون ( الإله العيسى ) مرحلة فكرية متخلفة ، أم أن اختفائه وراء ستار الغيب  
إعلان عن الهزيمة ؟

إن التجريد في عالم الفكر ، وفي عالم الخيال ، وفي مراحل النمو الإنساني -  
خطوة متقدمة بعد التجسيد ، فالصغار يجسدون كل المعاني المجردة في عالم الكبار ،  
فلم يختلف أمر الألوهية ، فصار التجريد مرتبطاً بالتخلف الحضارى ؟

ثم إن الحقيقة المرتبطة بنشأة موسى وعيسى ومحمد ، وهم أقرب الرسل إلى  
التاريخ الموثق ، لا يمكن أن تشير - وقد دعوا منذ البداية إلى الإله الواحد المكمل  
لصفات - إلى هذه الحقيقة الإنسانية التي تدعيها الكاتبة ، ومن أخذت عنهم ،  
فقد كان كل من الرسل الثلاثة محاصراً من أعدائه ، أصحاب السلطة في المنطقة التي  
نشأت دعوتهم فيها ، ولم يكونوا ممثلين بدعوتهم إلى التوحيد لإرادة السلطة  
أو لإدارة الجماهير ، وإن كانت المبادئ التي دعوا إليها لإصلاح الجماهير ولإصلاح  
الحاكمين أيضاً .

ولقد كانت الدولة المصرية في عهد موسى إمبراطورية واسعة ، امتد تاريخها  
زهاء خمسة قرون ( ١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق . م ) ، ومن أشهر رجالها تحوتمس  
الثالث ، وامنحوتب الرابع ( أختاتون ) ، وأحمس الأول ، ورمسيس الثاني ،  
وارتبطت دعوة موسى بتخليص اليهود من قبضة فرعون .

وكانت الشام تابعة للدولة الرومانية من قبل مجيء عيسى بقرون ، بل كانت  
ساحة للمد والجزر بين النفوذ الفارسي والروماني ، وقد دالت دولة البراء ودولة  
تدمر قبل الميلاد ، كما كانت العراق واقعة تحت السلطة الفارسية .

ولم ترتبط دعوة عيسى بتحرير فلسطين من أيدي الروم ، لأنها اقتصررت على المبادئ الأخلاقية العامة .

وجاء الإسلام وقد دالت دولة اليمن ، ولم يكن في قلب الجزيرة العربية دولة بالمعنى السياسي المعروف ، وكانت الحيرة تابعة لدولة الفرس ، كما كانت غسان تابعة لدولة الروم ، واليمن واقعة تحت سلطان الفرس .

ولم تكن دعوة الرسول محمد من أجل قيام دولة العرب على أنقاض دولة الفرس أو دولة الروم بل كانت دعوة أخلاقية للإنسانية كافة ، الناس سواسية ، ولافضل لعربي على عجمي ولاأبيض على أسود إلا بالتقوى .

ولو أن (الآله) حاجة اجتماعية أو سياسية لقامت دولة الفرس أو دولة الروم وكل دولة على هذا الأساس ، ولكن ازدهار الحضارات رهنا بازدهار العبادات .

ثم إذا كانت الدعوة التوحيدية التي تمثلت بآله أكبر مرئى ومتجسد قد تطورت إلى التمثل بآله عيسى فلم كم يتم هذا التطور على أرض واحدة ؟

لِمَ كَمَ تم مراحل هذا التطور على أرض اليمن ، أو تكون دعوة موسى ثمرة هذا التطور على أرض مصر ، وتكون دعوة عيسى ثمرة هذا التطور على أرض فلسطين ، وتكون دعوة محمد ثمرة هذا التطور في قلب الجزيرة .

إن التوراة تحدث عن الأنبياء السابقين الذين دعوا بدعوة موسى وكان موسى مصدقاً لما جاءوا به ، وجاء عيسى لا لينقض بل ليتمم .. وإن القرآن يحدث عن الأنبياء السابقين ، وكان محمد مصدقاً لما جاءوا به ، فكيف فات هؤلاء الرسل هذه الحقيقة التي جاءت بها السيدة ثريا منقوش ؟

تقول (إن تلك التسميات : ود ، عم ، سين ، المقه - كانت تشير إلى الآله « القمر » معبود الجزيرة العربية الرئيسي ، إلا أن تجسدياته ورموزه هي التي تباينت واختلقت من شعب إلى آخر) ص ٩٢ .

إذن ، ليست هناك كثرة ولا تعدد ، وإنما هناك (وحدانية) طال بها الزمن

فأخذت أشكالاً مختلفة في أذهان عبادها ، الذين شغلهم صراعات الحياة .  
وتذكر من أسباب عبادة القمر أن الإنسان ( أحسن بعطفه عليه ، حين سهل له  
رزقه ، فرافقه في رحلاته التجارية عبر الصحراء المقفرة الموحشة ، فكان سميره  
وأنيسه في الليالي الطويلة ، وكان حليفه في مواجهة قسوة الطبيعة ، وكان لا يبد من  
إعادة الجميل إلى رب النعمة لإنسان الصحراء ، وقد أدرك الإنسان ذلك في فترة  
أكثر تقدماً ورقياً ، فتوجه إليه بكل جوارحه يقلمسه ويعبده ) ص ٩٧ .

ولاشك في أن هذه الأسباب المادية للقمر لا تخص الشعب اليمني أو شعب  
الجزيرة العربية ، ومن ثم كان ينبغي أن تشارك كل الشعوب التي تتمتع بميزات القمر  
هذه في عبادته ، دون حاجة إلى ربط هذه العبادة ( بالتقدم والرقى ) ، لأنها ميزات  
مادية محسوسة ودائمة وكان يكفي أن تكون هذه العبادة دليل وفاء الشعب العربي  
وعرفانه للجميل !!

وتقول : ( كان لا بد من الإشراف الفعلي على التجارة المتحركة بين الممالك .  
لذا فقد تطلب هيمنة مملكة قوية ، وإشراف إله جبار مقاتل ذى جيوت مطلق .  
وكانت سبأ هي المهيأة لذلك ، فقد توفرت فيها شروط هذا الحامي ) ص ٩٩ .  
ولكن القمر الوديع الناعم الرقيق لا يصلح لهذه المهمة ، ولعل الشمس أحن  
بالترشيح لهذا الدور ، غير أن أهل اليمن عُرفوا بالبرقة والفضل ، فلما أحبوا القمر،  
والحب سيد الموازين ، لم يعدلوا بالقمر إليها .

وتقول : ( قد احتاج تنظيم تلك الموارد الطبيعية المبعثرة بين الممالك إلى تجميع  
لها ، فوضع ملوك سبأ أيديهم عليها بعد أن جهزوا الحملات العسكرية باسم الإله  
الكبير « الله » ووجدوا في طرح فكرته عاملاً مهماً لإشعال الحامس في النفوس ،  
والالتفاف حول الملك ، ووجدوا تحت جناحه سترًا يخفون وراءه أطاعهم في موارد  
الممالك الأخرى ) ص ١٠١ / ١٠٢ .

إذن ، لقد كان ( الإله الكبير الله ) موجوداً قبل أن يجهزوا الحملات

العسكرية وإن (طرح فكرته) إنما كان عامل تبشيره ودعوة إليه ومن ثم يمكن أن تكون الدولة في خدمة الإله لأن الإله في خدمة الدولة ، بدليل أن (التركيز على أسر الأطفال .. جاء ولاشك لاعتبارات عدة منها سهولة نقلهم وإذا بهم في بطن سبأ وقبائلها وإعادة تربيتهم حتى يصبحوا من جنود سبأ المقاتلين لترتفع راية الإله السبئي «المقه» وقد تم كل ذلك باسم الإله «المقه» وتمت رعايته) ص ١٠٨ .

ولقد قام ملك سبأ (كرب أيل وتر) بإعادة (القتبايين إلى مدنهم «ثلان» ، وصنوت ، وصيدوم ، ورداع ، وميفع بنجام» ، لالشي، إلا أنهم تحالفوا مع الإله السبئي «المقه» ص ١٠٨ .

وقد فرضت عليهم الضرورة الملحة في المساواة مع أفراد القبيلة المستصرة التقرب إلى إلهها للحصول على المساواة الاجتماعية الكاملة بعد أن ضمنوا لأنفسهم (المساواة القبلية) ص ١٠٩ .

بهذا يصبح تأثير الإله على الحياة تأثيراً قوياً ، يشمل السلم والحرب والزراعة والتجارة ، وهذا يكون الدين والدولة شيئاً واحداً ، بالرغم من أن (اليمن - كدولة من دول الشرق القديم - لم يعرف الملكية الخاصة نتيجة لتنوع وطبيعة الأرض وتربتها وطبيعتها الجغرافية الصحراوية) ص ١١٠ ، وهذا ما أثار - دهشة و( تساؤلات ماركس حول كيفية وعى الشرقيين لقضية الملكية الفردية للأرض ورفضهم لشكلها الإقطاعي) ص ١١١ ، مع أن (نظام الحكم كان قائماً على السخرة ، لأن المشاريع الكبيرة كانت تستلزم من الدولة تسخير جماعات كبيرة من الفلاحين بالدرجة الأولى والقبائل المهزومة لإيجازها) ص ١١٢ .

وهذا تضع السيدة الكاتبة - دون قصد - نقطاً على غير حروفها ، أو تصنع حروفها تحت نقط غيرها !!

## علاقة اليهود باليمن . .

ومن حيرتها بين الحروف والتقط أن فرقت بين ( العيبو ) و ( بني إسرائيل ) ،  
و ( الموسويين ) و ( اليهود ) .

وذكرت ( أن التوحيد الأخناتوني قد جاء كنتيجة للتطور الذي لحق بالفكر  
الإنساني الديني ، وهو ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أرق ) ص ١٢٢ ، وأن ( موسى  
كان قائداً عسكرياً اعتنق الفكرة الأخناتونية التوحيدية . . وحرص - على حد رأى  
فرويد - على تعلم أتباعه أسس التوحيد الأخناتوني ، وجاء لهم ببعض الشرائع  
المستمدة أصولها من التشريع الفرعوني ، وقد ارتد قومه عن إيمانهم برب أخناتون ،  
كما حصل لأقوام الإمبراطورية المصرية ، وعادوا يعبدون العجل وهو ما زال على  
قيد الحياة ، فتألم لذلك كثيراً . . وقيل إن لموسى شرائع ووصايا إلى أتباعه ، إلا أن  
المؤرخين لم يعثروا على مثل تلك الشرائع ، وبذلك انتهت الفكرة الموسوية وانتهى  
معها أتباعها ، على الرغم من المحاولات لإطالة عمر جماعة هي أصلاً بلا وجود ،  
وما دنا لم نعثر على براهين علمية حقيقية لذلك فإن كل ما قيل يبقى بالنسبة إلينا  
حكايات نسجها الخيال الديني لأهداف سياسية واقتصادية بعيدة  
المرام ) ص ١٢٦ .

وما دامت هذه ( الأهداف سياسية واقتصادية بعيدة المرام ) واليهود هم في  
الدرجة الأولى أصحاب هذه الأهداف ، إذن ، فكيف ( لم يكن أمام اليهود من  
نموذج يمكن الاحتذاء به غير سبأ والحضارة اليمنية التي كانت مزدهرة  
حينها ) ص ١٣٤ ، وكان ( حلم اليهود ، بدولة على نفس النسق في شمال الجزيرة ،  
خاصة بعد أن أحسوا بسيطرتهم الفعلية على تجارة مدن الهلال الخصيب : سوريا ،  
فلسطين ، مصر ، وبلاد الرافدين ) ؟ ص ١٣٥ .

إنه لم يكن من مبرر لبش هذا الماضي اليهودي ، بحثاً عن موسى وجماعته وعن

تشريعاته ووصاياه ، إلا لأنهم وجدوا في هذا الماضي القوة التي يرتكزون عليها في بناء الدولة الحديثة على شاكلة دولة اليمن .

وإذا كان في التراث اليهودي ما يساعد على تجميع (الثنات) وحفز المهتم

فلا حاجة إلى الارتكاز على (إله) يمي !!

لقد روت لنا (القصص والحكايات) عن علاقة بلقيس ملكة سبأ بسليمان ،

وتحدثت التوراة عن هداياه التي (سلبت لبَّ سليمان وسحرته) .

(وبصرف النظر في التخريجات الدينية والأبعاد السياسية للخلط الزمني في سرد

الأحداث فإن ذلك يعنى رغبة اليهود بتفكيرهم التجارى في إيجاد علاقة ودية مع

أصحاب تلك الخبرات ، إن لم يكن من الممكن الاستحواذ عليها) ص ١٣٧ .

(وكانت طموحات اليهود تتمركز في محاولاتهم الكثيرة - لا تتزاع مكانة سبأ

كوسيط تجارى بين الشرق والغرب أوحى منافسة تجارها في تجارتهم وتصوروا أن

ذلك لن يتأق لهم إلا بعد التماسك بين فئاتهم المشتتة في العالم ، وإخضاع تلك

الفئات لفكرة دينية واحدة تمثلت في التوحيد بالإله «يهوه» على غرار التوحيد

بالإله «المقه» القوى المتجبر بجهوت سبأ وعظمتها) ص ١٣٨ .

ولو أن الأمر اقتصر على هذه المكاسب المادية ، فلم تكن ثمة حاجة إلى موسى

المصرى وأختانون ، ولا إلى موسى المديانى وشعيب ، ولم تكن حاجة إلى (أتون)

أو (يهوه) ، ولا إلى تشريعات فرعون ووصايا شعيب . .

ومع هذا فالتوراة قائمة على أنها تشريعات موسى ، والملوك اليهود هم أبناء

هرون أخى موسى ، والكنهة اليهود هم أبناء (لاوى) أحد الأسباط الذى من نسله

موسى ، وقصة الخليفة منذ آدم إلى موسى تقوم على سلسلة من الرجال اتصل

نسبهم .

لكن الكتابة الباحثة عن الخطأ تصر على أن اليهود (قد حاولوا في القرن الرابع

بعد الميلاد النفاذ إلى اليمن ، وتم بالفعل التقارب بينهم وبين الحميريين إثر لقاء ملك

حمير « تبع أسعد كرب » بحرين من أحبار يثرب ، دخلا إليه - كما تذكر كتب التاريخ - عن طريق الدين ، وتمكنا من إقناعه فافتنع ودخلت اليهودية في القرن الرابع الميلادي إلى اليمن عن طريق السلطة في اليمن ، وقد أخذ الملك « تبع أسعد كرب » الحبرين معه إلى اليمن ، وهناك قام بفرص الدين اليهودي الجديد ذي الأصول اليمنية بقسوة وعنف ، إلى الحد الذي أحرق وأباد معارضيه ( ص ١٣٩/١٤٠ .

( واعتقد اليهود أن حكمهم قد تحقق في تأسيس دولة موالية لهم ، لت شعهم في أعقاب حملة الرومان على يهود فلسطين وتدمير هيكلهم . لكن الروم ظلوا يلاحقونهم حتى اليمن فحركوا أتباعهم في الحبشة واندفع الفرس يدعمون الاتجاه الوطني في جنوب الجزيرة محاولين حتى ثمار التهمة اليمنية ) ص ١٤٠/١٤١ .  
( ومن هنا ، فلم تكن فكرة التوحيد اليهودي المتجسد في الإله « يهوه » ، أو حتى الوجدانية التجريدية متأثرة بالتوحيد الأخناتوني ، كما يعتقد البعض ، على الرغم من وجود تشابه كبير بين نشيد أخناتون في الإله « أتون » إله الشمس وبين الامور رقم ١٠٤ التوراتي ، ذلك أن التوحيد الأخناتوني هو أول توحيد كوفي قائم على المحبة والإخاء والسلام ) ص ١٤١ . أتلك المقدمة تؤدي إلى هذه النتيجة ؟  
أمن المعقول أن اليهودية التي غزت اليمن بعد أن اكتمل وجودها على أرض فلسطين وبابل ، إبأن الأسر ، وصار لها أعداء يطاردونها حتى جنوب اليمن تستوحى الوجدانية من أرض اليمن ، مع أن التوحيد اليهودي ارتقى إلى مرحلة التجريد ، وظل التوحيد اليمني في مرحلة التجسيد وهي مرحلة متخلفة ، على حين لا نستفيد اليهودية من الدين المصري ، وهي التي نشأت على أرض مصر ، وهاجرت إلى أرض واقعة تحت نفوذ مصر ، وكان زعيم هذه الديانة اليهودية من أتباع الديانة المصرية ، كما يقول فرويد ؟

وإذا كان الخجل يتحدث عن ( الكتاب اليهودي المسمى « بالكتاب المقدس »

فيرى أنه ليس سوى ذكرى تقليد عربي قديم) ص ١٤٤ . فأين هذا الكتاب العيني الذي أخذت عنه التوراة ؟

ثم إن الدين العيني - (المستبطن) لأهداف سياسية واقتصادية - ارتبط بالحضارة العينية وهي (حضارة دنيوية عملية ، اهتمت بالطبيعة والإنسان ، وأولت هذين القطبين فيها جل طاقاتها وقدراتها) ص ١٠١ ، عن طريق بناء السدود وإقامة المشروعات الزراعية والتجارية والعسكرية على حين تحدث التوراة عن حركة الإنسان بحركة الإله الذي يتابع شعبه المختار بتعاليمه وبمايته أيما سار . . . . .  
أليس حديث (التوراة) عن إبراهيم وموسى يوجب القول بأن (التقليد العربي القديم) إنما هو ما تمثل في صحف إبراهيم الذي كانت رسالته بين مصر والحجاز وفلسطين ، وفي صحف موسى التي صار الشعب اليهودي يحملها في (التابوت) أيما مار ؟

وإذا كان (اليهود ، عبر تاريخهم قد شكلوا - كما يرى ماركس - مجموعة اجتماعية لها دور اقتصادي محدد بعيد عن الثقافة الرومانتيكية التي تمثلت بالفكرة الأخناتونية في التوحيد ، ولقد جاء توحيدهم متأثراً بالتوحيد العيني التشكل عبر ظروفه المادية المحددة) ص ١٤٦ . فمن أين جاء التشابه بين مزامير داود وأناشيد أخناتون ؟ ص ١٤٢/١٤١ وهل كان كل ما جاء في التوراة والتلمود مطبوعاً بالطابع المادي ؟

يدو أن ماركس اليهودي - في سبيل الانتصار لماديته - أخذته الغفلة أو تغافل عن أسفار راعوث وأيوب والجامعة والأمثال والمزامير ونشيد الأناشيد ، وأرمياء ، ومرأى أرمياء وحزقيال ، وزكريا ، من صفحات أدبية راقية فضلاً عن التشريع المتمثل في سفرى اللاويين والعدد .

ولقد نسبت الكتابة أن اليهود غزوا بديتهم اليمن ، في عهد (تبع سعد كرب) وكان التوحيد بالإله «يهوه» في عهد الامبراطورية الفارسية حين تمكن اليهود من أن

يقوموا بدور تجارى أساسى بين مصر وبابل ) ص ١٤٧ ، وبهذا تكون اليهودية قد غزت فارس قبل أن تغزو اليمن مع أن فارس كانت تدين يدين له طقوسه وتشريعاته التى ترقى على ما كان باليمن !!

### الوحدانية التجريدية عند اليهود والمجنيين . .

ثم إن الكاتبة ضربت صفحاً عن هذا كله وعرضت القضية من زاوية أخرى ، فذكرت ( أن الفكر الإنسانى ليس سوى بئى أقيم أساسها وهيكلها العام من مجموعة الثقافات الوطنية والقومية ولشعوب وأم الأرض ، خاصة تلك التى عاشت فترات حضارة وتمدد ، ومن هنا فقد أضاف كل شعب ، بما يملك من عقيدة فكرية . إلى مجموع معطيات الإنسانية آراء فكرية عقائدية وفلسفية وثقافية وقيماً حضارية تداولتها البشرية فيما بينها ) ص ١٥٠/١٥١ .

( واستطاعت الذهنية الشرقية متجسدة فى الذهن اليهودى ، أن تخوض فى عملية التجريد فى الإيمان بالله متوحد فى ذاته . . وكان اليهود أكثر الناس قدرة على استيعاب نتائج التداخل بين الحضارات بحكم ظروف الشتات التى عاشوا فيها ) .  
( وتمكن اليهود من انتزاع شرف السبق التاريخى لذلك الحدث الذهبى الذى شكل مرحلة انعطاف حضارى بالنسبة للإنسان ) ص ١٥٠ .

فقد (تلقف اليهود الفلسفة الإغريقية والميلينية على وجه التحديد، وهم فى الشتات بشغف عظيم ، حين كانوا يبحثون لهم عن حل لفاجمعهم التى حلت بهم بعد السبى البابلى ، فسعوا جادين لإيجاد كيان قومى لهم يجتمع فيه شتاتهم ، وكان لا بد من فلسفة وقيم معينة تدفعهم أولاً وقبل كل شىء للتماسك خوفاً من الذوبان فى أم وشعوب الأرض التى وصلوا إليها فى شتاتهم ذلك . . ولم يكن هناك من سلاح غير الدين لإثبات الذات ، وهو وسيلة العصر المعروفة حينها ) ص ١٥١ .

. . فإذا عرفنا أن الأسر البابلى تم بعد عهد سليمان ، الذى بلغت الدولة اليهودية

في عهده أقصى ما كانت تحلم به ، فانقسمت الدولة ، بين رحبعام ويريعام ، إلى يهودا ، وإسرائيل ( ٩٢٢ ق . م تقريبا ) فلما قويت دولة الآشوريين ، توجه سرجون ( ٧٢٢ ق م ) إلى الشام واستولى على السامرة عاصمة إسرائيل ، ونقل كثيرا من سكانها أسرى ، ثم قضى على دولة يهودا واستولى على القدس .

وحين سقطت القدس في يد نبوخذ نصر ( ٥٩٨ ق . م ) ساق أمامه الملك يهوياقيم والنبي حزقيال ، ومعها سبعة آلاف رجل مسلح وألف عامل مكبلين بالحديد فكان هذا الأسر البابلي الأول (١) .

وكل هذا تم بعد تاريخ حافل للشعب اليهودي ، منذ خروج موسى به من مصر ( ١٢١٣ ق . م ) إلى أن تولى سليمان ، عهد الاستقرار والازدهار ( ٩٦٠ - ٩٢٥ ق . م ) أي بعد ثلاثة قرون تقريبا .

فهل نسى اليهود هذا التاريخ تحت أثر النكبات التي لحقت بهم في زمن الآشوريين والبابليين أم زادتهم تمسكا به ، حتى أكب الحاخامات على هذا التاريخ يدونونه ويضيفون إليه حتى كانت التوراة التي تحتوى على تاريخ إسرائيل إلى سنة ٢٤٠ ق . م أما عن التلمود فلم يبدأ تدوينه إلا في وقت متأخر يكاد يصل إلى عهد يهودا هاناسي أحد حاخاماتهم فيما بين ١٩٠ ، ٢٠٠ للميلاد .

إذن فقد كان لليهود دور عقائدي شفهي ومدون قبل أن يصلوا إلى أرض اليمن . فإذا كان سقراط ، أستاذ أفلاطون قد ولد سنة ٤٦٩ ق . م (٢) أي بعد الأسر البابلي بأكثر من قرن من الزمان ، وإذا كان الإسكندر الذي انتشرت الثقافة اليونانية على يديه قد غزا فلسطين سنة ٢٣٢ ق . م فكيف أخذ اليهود عن الفلسفة اليونانية فكرة التجريد ؟

(١) انظر للمؤلف : اليهود تاريخًا وعقيدة - كتاب الهلال سنة ١٩٨١ ص ٢١ وما بعدها .

(٢) يدكرون أن حياة سقراط كانت بين ( ٤٧٠ - ٣٩٩ ق . م ) وأفلاطون ( ٤٢٩ - ٣٤٧ ق . م )

وأرسطو ( ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م ) .

وإذا كانت ( فكرة التوحيد الموسوية قد بقيت كأثر غامض ومبهم إلا أنه موروث ومستمر يفعل فعله في الحفاء ، وتوطدت رويداً رويداً سطوته على النفوس إلى أن قدر له في خاتمة المطاف - أن يحول الإله يهوه إلى إله موسى ، وأن ينفخ في الحياة من جديد ديانة كان موسى قد أقامها قبل قرون طوال ثم كان مآلها المهجر) - كما يقول فرويد ص ١٥٢/١٥١ فما الهدف من قولها : ( إن ذلك التوحيد الموسوي ليس سوى الوجدانية التجريدية والتي جاءت عبر تلك المصالحة بين القيم الدينية الشرقية التي كانت سائدة آن ذاك وبين الفلسفة الغربية الإغريقية بعد أن تغلغت في الأرض العربية ، خاصة المَعلم اليوناني منها ، ولقد تلقفها الشرق بإيمان عظيم حين رأى فيها المنقذ له من ضياعه بعد أن هارت حضارته ومدنه العريقة الواحدة بعد الأخرى فقاد ذلك إلى ظهور الفكرة الواحدة كمثل الحير عند أفلاطون ، واللوغوس أو الكلمة عند الرواقين ، ولقد حمل الفلاسفة اليهود تأثراتهم تلك إلى الديانة اليهودية ، فإذا الإيمان اليهودي بالإله يهوه يمتزج مع تلك الفلسفة التجريدية ليكوناً معاً « وحدانية تجريدية » يظهر فيها الله بمظهر جديد ، ليس له رمز ، ولا صورة ، ولا تمثال ، بل هو مفهوم مجرد جاء على لسان موسى ) ص ١٥٢ .

وإذا كان ما وصل إليه المزج بين الفكر الشرق والفكر الغربى هو ( مفهوم مجرد

جاء على لسان موسى ) ففيم كانت هذه الرحلة الشاقة ؟

إن أثر الفكر الهيليني تجلّى عند ( فيلون ) من أبناء مدرسة الإسكندرية ( الأفلاطونية الحديثة ) ولكن فيلون ( تحطى أفلاطون بعد أن تم له عملية استيعاب فكرة أفلاطون في مثال الحير ، فصار هذا المثال إلى ما فوق الواحد ، ليصبح الله أفضل من الفضيلة وأفضل من العلم ) ص ١٥٣ ، فهو الذى ( يحتوى العناصر ويبين عليها ولا يحتويه شيء ، وهو فوق الزمان والمكان لأنه في كل مكان ) ص ١٥٤/١٥٣ .

لكن هذه المعالم جميعاً وصل إليها ( الفكر الموسوى ) وكل ما زاد على يد فيلون

التأثر بالذهب الخلقوي الصوفي الرواق هو أن (كل شيء مفعم بالإله) ص ١٥٤ وهو بهذا أيضاً يعد عن الجذور الموسوية ، لكنها شروح تزداد عمقاً وسعة . فإذا كان الإنسان قد انتقل إلى ( المفهوم المجرد ) وتوصل إلى ( القناعة بالتوحيد أو الوجدانية المطلقة ) ، وكان ( من جملة تلك المجتمعات المجتمع اليمني ) فإن دور الفكر اليهودي أسبق على الفكر اليوناني الرواق .

( لقد بدأ ذكر « ذى سموى » في نص مع الإله الهمداني « تاب ريام » ثم بدأ في الابتعاد عن مرافقة آلهة أخرى في نصوص متأخرة ، يرجع البعض منها إلى ما قبل الميلاد بنصف قرن وقد وصلت تلك العقيدة إلى الكمال اللاهوتي بعد أن صار إله السماء والأرض ) .

( كما ظهرت عبادة « الرحمن » في نفس الفترة التي ظهرت بها عبادة رب السماء ، كما وردت لفظة « الرحيم » في نصوص صفوية وأخرى سبئية ) ص ١٥٦ فهل يعد هذا دليلاً على الوجدانية وتعدد الصفات ، لاعلى كثرة الآلهة ، كما يعد دليلاً على أثر اليهودية التي دخلت مع ( تبع سعد كرب ) أو يكون دخول فكرة التوحيد مع حجاج بيت الله الحرام الذي أذن إبراهيم الخليل بالحج إليه من قبل دعوة موسى عليهما السلام بخمسة قرون أو تزيد . ؟

( يذكر الإخباريون وتحفظ لنا الكتب ذكر جماعة عرفت « بالأحناف » كانت تدعو إلى عبادة الرحمن سكنت اليمن ورفعت صوتها بالتوحيد ، وقد وردت لفظة « حنف » في النصوص العربية الجنوبية وهي بمعنى « صبأ » أى مال وتأثر بشيء ما ) .

( وما زال تاريخ نشوء الحنفية في اليمن غامضاً ، ومن المحتمل أن تكون امتداداً لديانة « ذى سموى » التي يعتقد أنها كانت ضمن العبادات السائدة في القرن الأول قبل الميلاد في اليمن ) .

( وقد كان لعقيدتهم أربعة أركان - كما يذكر الفخر الرازي - هي : حج

البيت واتباع الحق ، واتباع ملة إبراهيم والإخلاص لله وحده) .  
(ولقد استمر ذلك المذهب ينتشر ويتوسع ولم يعد مقصوراً على جماعة من الناس ، وإنما أصبح يمثل تياراً قوياً خاصة قبل ظهور الإسلام بفترة وجيزة ، على رأس ذلك التيار أسماء كبيرة ، كأمية بن أبي الصلت ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وأسعد أبوكرب الحميري ، وعلاف بن شهاب التيمي ، وخالد بن سنان العنسي ، وغيرهم وكلهم من بيوتات يمنية وقرشية معروفة . ويبدو أنها كانت بدعوتها تلك تبحث عن مخرج لأزمة الحضارة المنهارة في جنوب الجزيرة ، ولم تتمكن من العثور على حل لذلك الاختناق الحضارى إلا في الدعوة التي خرجت من قلب الجزيرة العربية رافعاً رأيتها الرسول العربي محمد بن عبد الله ، عاثراً على الحل والدواء ، بعد أن عرف المرض العضال الذي أصاب الجزيرة العربية بمجنونها وشمالها .  
( واستطاع القائد العبقري أن يصوغ الروح العربية من جديد ويخلق منها أمة نطقت بلغة واحدة ، وآمنت بفكرة واحدة ، كمقدمات تاريخية لخلق الكيان الواحد لها بأسسه المادية والحضارية ، وليبنى الدولة العربية المركزية الواحدة مستوعباً الفكر الإنساني والحضارى بعامة ) ص ١٥٨ / ١٦٠ .

• • •

هذا . . وما أظن هذه الدهاليز الفكرية المتداخلة التي تاهت فيها الكاتبة أكثر من مائة وستين صفحة ، لتصل إلى هذه النتيجة ، في حاجة إلى تعليق .